

المثل السائر

آبائه ولو أنصف لهنأ الأرض منه بوابلها والأمة بكافلها وخصوصا أرض مصر التي خست بشرف سكناه وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض يمناه .
وكل هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التي أنشأتها لا كلفة على كلمات اللزوم فيها .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج أن لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذي الجدين فحطيت عنده وحطي عندها ثم قتل فآمت بعده وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ما تذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت إنه خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني وبه نضح دم فضمني ضما وشممني شمة فليتني مت ثمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط فقولها ضمنني ضمة وشممني شمة فليتني مت ثمة من الكلام الحلو في باب اللزوم ولا كلفة عليه .
وهكذا فليكن فإن الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وما ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفا ومثاله في هذا المقام كمن أخذ موضوعا رديئا فأجاد فيه صنعته فإنه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الأصل فأضاع جودة الصنعة في رداءة الموضوع .
وقد سلك ذلك أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان فمما جاء من ذلك قوله في حرف التاء مع الخاء .

(بِنْدَتْ عَن الدُّنْيَا وَلَا بِنْدَتْ لِي ... فِيهَا وَلَا عِرْسَ وَلَا أَخْتُ) .
(وَقَدْ تَحَمَّلْتُ مِنَ الْوِزْرِ مَا ... تَعْجِزُ أَنْ تَحْمِلَهُ الْيَهُدُ) .
(إِنْ مَدَّ حُوزِي سَاءَ نَزِي مَدَّ حُهُمٌ ... وَخِلَاتُ أَنْزِي فِي الثَّرَى سَخْتُ) .
وله من ذلك الجيد كقوله .

(لَا تَطْلُبِينَ بِآلَةٍ لَكَ حَاجَةٌ ... قَلَامُ الْبِلَالِ بِغَيْرِ جَدٍ مَغْزَلُ) .
(سَكَنَ السَّيِّمَ مَا كَانَ السَّمَاءَ كِلَاهُمَا ... هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ) .